http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1507) السنة السادسة - الخميس (14) أيار 2009

الخياطة الأهلية شارفت على الانقراض والمستورد ملك السوق

بغداد / وائل نعمة

بحثنا عن حسين الشروكي كما هو معروف بهذا الاسم في شارع النهر مطولا، لانه صاحب اقدم معامل الخياطة في هذا الشارع. وكان قبل سنوات يعد احد اهم واكبر الاسواق في بغداد والعراق لبيع الملابس الجاهزة التي تصنع بيد عراقية. وكان المكان يمتلئ بمعامل الخياطة التي تباع منتوجاتها بنفس المكان. السيد حسين حول مكان معمله الى محل لبيع الملابس المستوردة، فمهنة الخياطة تدهورت منذ بداية التسعينيات بسبب الاهمال الذي عاناه هذا القطاع من ضعف في الدعم وسوء في الانتاج. يقول حسين استطعنا ان نبقي على الانتاج رغم المعوقات ولكن الكارثة الكبرى حدثت بعد ٢٠٠٣ حين بدأ التدهور الامني وفتحت الحدود امام البضائع الاجنبية ودخول المستورد الرخيص الغير خاضع الى الرقابة او الفحص، وغياب التشريعات الداعمة للصناعات.

لحق بركب السيد حسين الكثير من اصحاب معامل الخياطة التي كانت تعج بالعمال وبأصوات المكائن الساهرة مع عمالها الى الصباح بسبب طلبيات العمل التي لا تتوقف. اما محمد هادي الذي كان معمله يحتوي على اربعين عاملا والعشرات من مكائن الخياطة فحدثنا عن واقع السوق بالقول» لم نكن نملك الوقت للاكل وكنا نعمل كأسرة واحدة مع العمال. وكان لديهم حرص كبير على المعمل وعلى انتاجنا لاننا في مركب واحد، وكان انتاجنا نراه ونحن مسرورون يباع في السوق ونشاهد الناس تشتريه وتلبسه. وبعد دخولنا في دوامة المستورد هرب العمال الى سوريا والى البحث عن اللجوء في الدول الاوربية».

علي لفتة الذي كان يعمل في مجال الخياطة والان يعمل في بيع العطور يقول» كنت أعمل في الخياطة منذ اكثر من ٢٠عاماً ولكن تعرضت هذه المهنة للانتكاسة، ثم يضيف « بدأت مهنة الخياطة وخلال السنوات القليلة الماضية تتعرض للكثير من الصعوبات بحيث فقدت روادها يوماً بعد آخر ولجأ العديد من المواطنين الى المستورد».

معامل مازالت في الخدمة

بعد البحث عن معمل للخياطة مازال في العمل ولم يغلق ابوابه، وجدنا معمل خياطة (ابو حنان) في عمارة الخيام كما تسمى. تحيط به مجموعة من المعامل ولكنها مغلقة، رغم ان هذه المنطقة قد لجأ اليها الكثير من اصحاب المعامل بسبب انها ظلت ولفترة طويلة لاينقطع عنها التيار الكهربائي.

وكان صاحب المعمل محمد جاسم في العقد السادس من عمره، وعامله الوحيد حسين مؤيد. سألنا صاحب المكان» يبدو ان لديكم عملا بخلاف باقي المعامل التي اغلقت ابوابها» فرد محمد بالقول:لدينا طلبية ملابس سجناء نقوم بخياطتها ،واستأنف كلامه» ولكن دون فائدة كبيرة وذلك لان مثل هكذا طلبية تخرج على شكل عقد من احد السجون او من دائرة السجون وتذهب الى احد الاشخاص. ومن ثم هذا الشخص يبيعه لاخر ولاخر حتى تصل الينا وقد قل الاجر الذي نحصل عليه». وفي السوق تقول احدى النساء المتبضعات، وهي ام احمد، بأني افضل شراء الملابس المستوردة لاننا بقينا فترة طويلة في العراق محرومين من الملابس المستوردة، وثانيا انا اراها جميله وفيها موديلات كثيرة. بالاضافة الى رخصها فمثلا انا لو رغبت بخياطة (جبه) فيجب ان اشتري القماش وطبعا من يبيعون الاقمشة اصبح وجودهم نادرا.

وبعد البحث عن معامل للخياطة ظلت مفتوحة، وجدنا الشركة المتحدة للخياطة في منطقة حافظ القاضي مازالت قائمة. ورغم ما أكده لنا ابو محمد صاحب البسطية في باب البناية، بأن لاوجود للعمال فوق ولايوجد عمل. ولكن عن الصعود الى العمارة عبر السلم الطويل وجدنا عبد السادة الرجل الستيني يجلس على ماكنة الخياطة(البروذر) وحوله عمال ثلاثة. عبد السادة الاسطة في المعمل وهو خياط ونقابي قديم ومازال نقابيا في نقابة النسيج والجلود يقول: بدأت العمل في اواخر الستينيات اخيط (الكرنتيله) وهو الزي الرسمي القديم للجيش العراقي. وكنت اعمل في وزارة الدفاع ثم انتقلت بعد ذلك الى معمل خياطة السندباد. وفي آخر عمل لي كنت في معمل نينوى للخياطة وكنت رئيس اللجنة الثقافية في النقابة. كان العمل في السابق مختلفا فكان العامل محترما وله حقوق وتدعمه النقابة.

اتحاد النقابات

فيما قال لنا الاستاذ هادي علي لفته ابو عادل، الامين العام لاتحاد نقابات العمال، بأننا نواجه مشكلة وهي أن اموالنا قد جمدت بقرار من رئيس الوزراء السابق ابراهيم الجعفري سنة ٢٠٠٥ بدعوة التخوف من استغلال الاموال لدعم الارهاب والانتظار حتى قيام الانتخابات. والذي حدث لا انتخابات جرت ولااموال صرفت، ونحن لدينا اموال كثيرة ونريد ان نقدم الدعم من خلالها الى المشاريع الخاصة لكي ندفع بعجلة العمل وانهاء البطالة. البطالة هي سبب من اسباب الارهاب.وعن مسألة البضائع المستوردة قال ابو عادل بأننا طالبنا كثيرا بحماية المنتوج الوطني ووضع حلول وحدود للاستيراد العشوائي وآلية لاخذ ضريبة او كمرك او رسوم حتى تستطيع المعامل المحلية الاستمرار، وتقوم منتوجاتها بمنافسة المنتوج الاجنبي. ولكن ليس هناك اي شيء قد حصل باتجاه هذا الموضوع. يعزو ذلك الى ارتباط المسؤولين ببعض دول الجوار وببعض الشركات والتي عن طريقها تدخل البضائع.

اتحاد الصناعات

اما فيما يخص اتحاد الصناعات العراقي فقد قالت لنا الست فريال مديرة المكتب الاعلامي في الاتحادا أن عمل الاتحاد ينصب على تقديم التسهيلات للصناعيين العراقيين مع الدوائر الحكومية والمؤسسات. فنحن لنا القدرة على مخاطبة المؤسسات الحكومية ومخاطبة السفارات. وتضيف قائلة: نحن نقدم الدعم الكامل للصناعيين العراقيين وللمشاريع الصناعية، كما اننا ممكن ان نعطي تسهيلات للصناعيين بالخروج الى اي دولة بصفة صناعي لاغراض الاستيراد وتبادل الخبرات. واشارت الست فريال الى اعطاء الصناعيين هوايات خاصة لتسهيل اعمالهم بعد ان يقدم الصناعي المستمسكات المطلوبة لاستخراج الهوية، ومن بعدها يمكن ان نقيم مشروعه الصناعي بخروج لجنة مختصة من مهندسين بالكشف على المشروع. وبعد ان تتم الاجراءات الاصولية من حيث مساحة المكان وعدد المكائن بالنسبة لمعامل الخياطة ووجود عقد رسمي ممكن بعدها ان نقدم له المساعدة من خلال اعطائه حصة من الوقود. وذلك بمفاتحة وزارة النفط. سنفعل مابوسعنا لمساعدة معامل الخياطة ولكن يجب ان يكون المعمل منتميا الى الاتحاد ويجب ان يدفع الاشتراك الخاص به.

مراكز للأنترنيت خاصة بالنساء

قالت طالبة الماجستير سمر عبد العزيز (٢٦ سنة)، وهي تهم بمغادرة مركز الانترنيت (قطر الندى) عن هذه الظاهرة انها تحضر في الاسبوع ثلاث مرات الى هذا المركز من اجل الحصول على معلومات خاصة لرسالتها حول (فلسفة ابن خلدون). كما انها تتصفح عبر خدمة الانترنيت شروط القبول في الجامعات العربية وسبل المشاركة في احداها. وتشير سمر ان كل ذلك ممكن الحصول عليه في ساعة واحدة وبسعر قدره الف ونصف دينار فقط.

اما والدة سمر التي ترافقها فقد قالت انني احضر مع سمر لسببين الاول ان ارافق ابنتي الوحيدة، وثانيا الاتصال عبر خدمة الانترنيت بشقيقي المهاجر الى كندا. وهذه الطريقة (ارخص) كثيرا من الاتصال عبر (الموبايل) الذي يكلف الاتصال فيه الى كندا اكثر من ٥ دولار. وحول سؤالنا عن سبب عدم الاشتراك عبر شبكة الانترنيت في البيت قالت والدة سمر ان تذبذب الشبكات وعدم وضوحها او استمرارها تجعلها تفضل الاستعانة بالمراكز، الخاصة بخدمة الانترنيت. وهذا المركز مخصص للنساء فقط مما يجعل المرأة تشعر بالراحة وعدم الحرج من وجود الرجال.

الإدمان.. على الانترنيت

وتؤكد صاحبة مركز (قطر الندى) الانترنيت الخاص بالنساء ان هناك بعض السيدات قد ادمن على مزاولة التواصل مع الاهل والاقارب عبر شبكة الانترنيت خاصة الامهات اللواتي لديهن ابن او ابنة في بلاد الغربة. وتحدثنا عن السيدة ام ساجدة التي تقضي ثلاث ساعات كل يوم في الحديث مع اهلها في الغربة، وتعزي السبب في هذا الادمان اولا كون المحل خاصاً بالنساء، فالحرية متاحة في الجلوس لساعات دون حرج، ووجود الكافتريا التي اوجدت علاقات حميمة بين السيدات الحاضرات. والسبب الثالث والأهم هو عدم وجود اماكن او نواد او كازينوات خاصة بالنساء يثرثرن فيه ويتبادلن الاراء والاحاديث، بل حتى اوجدت هذه المراكز صداقات وزمالات بين سيدات الحي الواحد.

• وهل تضايقكم مثل هذه الممارسات، اي تحول المحل الى ناد؟

– بالعكس ان هذا يسرنا كثيرا، كما يفتح لنا ابواب الشهرة والنجاح، ونحن نزاول العمل منذ بداية عام ٢٠٠٩ وقد تأخرنا كثيرا عن الدول الاخرى والمجاورة التي كثرت فيها نوادي الانترنيت، وخاصة دول الخليج التي ادمنت نساؤهم على ارتياد نوادي الانترنيت. وصار لكل حي عدة مراكز للانترنيت وهناك يطلقون على المراكز اسم (مقاهي) لانها بالضبط تقوم مقام المقاهي، لا بل حتى تقدم (النركيلة) في كافتريا عصرية.

الانترنيت الخاطبة

وتشير صاحبة مركز الانترنيت (قطر الندى) انها كانت قبل شهر في احدى دول الخليج وشاهدت توسع عمل مقاهي الانترنيت. فهناك خدمة تقدمها صاحبة المركز، وهذه الخدمة تتلخص في عرض صور لرجال يرغبون في الزواج مع ذكر معلومات مختصرة عنهم وعناوينهم، يقابلها اخذ عناوين ومعلومات عن الراغبات في الارتباط ووفق الشروط المدونة. وتضحك السيدة صاحبة المركز وتقول ها هي الخاطبة العصرية، فقد ولى دور المرأة التي تقدم مثل هذه الخدمة حاليا بفضل تطور العلم والمعرفة.

مقهى الخنساء للانترنيت

تقول صاحبة المقهى ان اغلب النساء وخاصة المتقاعدات منهن لديهن وقت فراغ كبير لا يعرفن اين يقضينه. جاءت فكرة فتح هذه المقهى لتكون بحق المكان الذي تلتقي فيه النساء ومن مختلف الاعمار للفائدة وهي الاتصال بالأهل والأقارب، ولتعلم نظام الحاسبة والتنضيد. وهي لغة العصر الحالية والمطلوبة في اغلب الوظائف حيث اصبح ينظر الى عدم الالمام بعلوم الحاسبات بأنه (امي) ولدينا دورات عديدة أمدها ١٠ ايام لتعلم الكتابة على الحاسبة.

وتشير صاحبة المقهى ام عصام ان المراة الشابة اوفر حظا في التعلم من ا لمرأة المسنة، وهذا امر بديهي. وعن اجور وأوقات الدورات قالت ام عصام ان اجور تعلم الحاسبة لا يزيد على ٤٠ الف دينار. اما الوقت فيحدد عند اكتمال عدد المستفيدات من الدورة، وان اوقات دوام المقهى هو من الساعة التاسعة الى الساعة الخامسة. وان كوادرنا العاملة كلها من النساء. وعن الخدمات الاخرى التي يقدمها المقهى قالت ام عصام نقوم بتعليم علوم الحاسبات والانترنيت، والمرأة حرة في تصفح مواقع الانترنيت اذا كانت تجيد ذلك. ولا رقابة عليها ما دامت تتقن فتح الملفات، فهي حرة. ولكن هناك مواقع مخلة بالاداب العامة نحاول ان لا تصل اليها المشتركة. وعن عدد الدورات التي اقامها المقهى تقول انها بعدد كبير لا تذكره الان، وان كل خمس مستفيدات او اكثر ممكن ان نفتح لهن دورة. وتؤكد ام عصام ان المقهى على بساطته استطاع ان يستقطب عددا كبيرا من النساء في الحي، وخاصة الطالبات اللواتي وجدن فيه خير وسيلة للاطلاع على المعلومات العلمية منها والادبية والتي تساعدهن في البحوث والدراسات. كما ان هناك خدمات عديدة يقدمها الانترنيت منها مواكبة اخر التطورات العلمية في الجامعات. ويقدم المقهى ايضا دورات تقوية باللغة الانكليزية لطلبة الدراسة الاعدادية، وعلى يد مدرسات في اللغة الانكليزية وبخصم خاص لطلبة الدراسات المنتهية. وبذلك يكون المقهى قد اوجد فائدة لكل من المدرسة والطالبة، ولا يقبل المقهى في هذا البرنامج الطلبة الذكور بل فقط الاناث.

معهد عشتار للانترنيت

افتتح في عام ٢٠٠٨ وهو خاص بالنساء فقط. تحدثنا مديرة المعهد السيدة زينب فتقول: لدينا دورات عامة الى جانب دورات خاصة لمدة اسبوعين، صباحا ومساء. وهي دورات متنوعة البرامج بسعر ٤٠ الف دينار للدورة الواحدة. ولدينا ساعة تصفح الانترنيت بسعر الف دينار للساعة الواحدة، كما نقيم دورات لتعلم اللغة الانكليزية لمدة شهرين تبدأ من المراحل الاولى لتعلم اللغة. وخلال هذه المدة تكون الطالبة قد اتقنت التحدث باللغة الانكليزية. ولا نترك الطالبة فقط لمدة شهرين بل للحديث المتقن باللغة الانكليزية وسعر هذه الدورة ١٠٠ الف دينار فقط، وموعد الدراسة في هذه الدورة هو كل يوم اثنين واربعاء من كل اسبوع (اي في الاسبوع يومين). ونقيم ايضا دورات للاطفال من عمر ٧ سنوات الى ٢٠ سنة وهي دورات خاصة بالطلبة من كلا الجنسين. ويمنح الخريج من الدورات التي نقيمها كتاب تأييد، ونقيم دورات عامة لعلوم الحاسبات والانترنيت تبدأ من يوم الاحد الى يوم الخميس من كل اسبوع ولمدة اسبوعين، وسعر الدورة ٤٠ الف دينار وهي بدوامين من الساعة العاشرة صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا. ودوام آخر مسائي يبدأ من الساعة الثانية ظهرا الى الساعة الرابعة مساء حيث ينتهي دوام المعهد. ويشرف على هذه الدورات سيدات ذوات خبرة ودراية والمام باللغة وبالحاسبات والانترنيت. وعن حرية التصفح عبر الانترنيت قالت السيدة زينب: نعطي الحرية للمتدرب او الراغب في تقنية الانترنيت في تصفح المواقع ولكن هذه الحرية مقيدة بالالتزام بحدود اللياقة والادب، وكما تعلمون هناك مواقع تخرج عن الحدود المتعارف عليها في مجتمعنا.

طالبة المعهد المذكور ازهار جابر التي قالت انا موظفة في جامعة بغداد، القريبة من هنا، قدمت اجازة زمنية لكي احضر الى المعهد الذي اجده انيقا ومريحا. وانا خريجة علوم حاسبات اتصل ببعض المعارف خارج العراق ولمدة ساعة كاملة وبسعر الف دينار، وهو مبلغ زهيد جدا. لدينا خدمة الانترنيت في البيت لكن الشبكة غير جيدة ومتقطعة دوما، ما يجعلني احضر الى هنا. كما اريد ان اطور من قابلياتي ومهاراتي في مجال الحاسبات لانه عالم واسع جدا. ولدي دراسة (الماجستير) لتطور علوم الحاسبات.

> الانترنيت، هذه الشبكة العالمية العملاقة، بدأت تغزو السوق العراقية بشكل كبير، لا في العاصمة فقط، بل وصلت الى كل مدينة وقرية. وقد تعددت استخدامات الانترنيت لتشمل العلوم والمحاضرات والصور والاتصال بالناس البعيدين. وهذا لم يعد أمرا غريبا. لكن ما لوحظ في العاصمة هو شيوع ظاهرة معاهد الانترنيت الخاصة بالنساء. اذ هي حكر على المرأة فقط، ولا يدخلها الرجال.

بغداد / سها الشيخلي **تصوير: سعد الله الخالدي**